

في مفترق الطرق . .

بماذا خرج القارىء من تلك الرحلة الطويلة التي قطعناها معاً في دنيا الإنحلال وحمى نشاطه المفتعلة ؟ أترأه يخرج منها وقد تبددت في ذهنه سحب اليأس ، التي لبدت سماء تلك الفترة ، وكله ثقة بالمستقبل وأمل ؟ أترأه قد استطاع على ضوء التفكير السليم أن يقف على الاتجاه الصحيح لفكرة الإصلاح ، ويسلك طريقاً مستقيماً مفتوحاً خلال تذبذبات الإنحلال المرتجلة واندفاعاتها المتاهة ؟

إذا كان القارىء قد وقف على عناصر الركود والفشل في الأطوار السابقة للحركة الوطنية ، وأعجمها وأبرزها افتقارها إلى عمودها الفقرى الاجتماعى ، وفساد عقليتها الكفاحية ، أى فلسفة كفاحها . . . إذا كان القارىء قد أدرك أن لامفر من أن تتوسط بين طور الحركة الوطنية الجديدة وأطوارها السابقة الفاشلة مرحلة انتقال غير قصيرة أسميناها « فترة الإنحلال » لما يتخللها من أفكار مختلطة مهوشة ، ومحاولات سقيمة تافهة . . إذا كان القارىء قد استطاع تخلص اتجاهات الإصلاح المختلفة مما يعلق بها من أوشاب التلهف والإرتجال ، وأدران الوصولية ، وتحيزات الطبقة ، ونسقتها وجمعها في اتجاه واحد ، وألف منها بصبغها بالصبغات الوطنية والإسلامية والإشتراكية معاً وجهة نظر مصرية عامة جديدة ، فهو بذلك يهتدى إلى ما يسمى « بالإدراك العام الجديد » ، الذى إن هو إلا وجهة نظر عامة تألفت بالإحساس الباطنى الخالص ، مع شمول الفكر ونسقه وتجانسه !

ولست كل مجموعة من المبادئ، بالإدراك العام ما لم تكن شاملة متجانسة منسقة ، بحيث تؤلف وحدة فكرية ووجدانية واحدة . وكما أن تفكير الشخص لا يقترب من النضوج ، وتصرفاته لا تخلو من الخطأ وشخصيته لا تتكون قبل بلوغه سنّاً معينة هو من الإدراك والتمييز ، كذلك الجماعة لا ينضج تفكيرها ، وتترن تصرفاتها ، وتتدم شخصيتها القومية قبل بلوغها مرحلة الإدراك . ومن هنا كان الإدراك العام هو خامّة المبادئ والبرامج . وأى مبادئ أو برامج يدعى إليها قبل بلوغ مرحلة الإدراك ، إن هي إلاّ عناوين براقة فقيرة الجوهر ، مختلطة ناقصة . وإن استطاع الداعون إليها اصطيد بعض المتهلفين أو الحائرين أو البسطاء الخ . . فلن يستطيعوا تجميع الشعب بأسره حولها لأن طوائف الشعب لا تنجمع إلاّ حول إدراك عام ، ولا تتشكل وتتماسك إلاّ بوحدة الفكرية وبوحدة الوجدانية معاً .

تلك الألفاظ المختارة ، والمبادئ البراقة لا قيمة لها ما لم تصادف هوى في نفوس الكتل الشعبية العاملة . . . ما لم تعبر عن إحساسها ، وتمشى تماماً مع ظروفها المادية ، ومع ما تعكسه هذه الظروف في أذهان الأفراد من انفعالات وآمال وحوافز . وهي إن عبرت عن إحساس الشعب حقاً ، وإن تمشّت مع ظروفه المادية حقاً ، لكونت « إدراكاً عاماً » بلا جدال ، ولا استطاعت أن تقطر الكتل الشعبية وراءها في حركة شعبية حقه . وليس بعسير أن تميز تلك الكتل بفطرتها السليمة وإحساسها الباطني بين مبادئه الحية بإيحاءها النفساني وقوتها الدافعة وبين المبادئ البراقة التي تضيء بعض لحظات كشهاب وتتساقط ثم تنقلب إلى حجر لا روح فيه ولا معنى له .

ولكم أدهشنى أن يسخر بعض المثقفين من الوصوليين الحزبيين من عبارة « الإدراك العام » وأنا أحاضرهم أو أناقشهم فى المعتقل . وأن يأخذوا على أنى تأخير الألفاظ وأنعالى عليهم بالمصطلحات والأسلوب العلمى . وما كان لى أن أدهش وقد فقد هؤلاء الشبان كل إدراك ، وتشربوا الوصولية الحزبية ، وغرقوا فيها إلى آذانهم ، وانحدروا إلى هوة الرجعية بنظرتهم الآئمة إلى التعليم كميزة استثنائية فى بلد يسوده الجهل . وقد ظنوه أداة للترفع على طبقات الشعب الجاهلة ، التى تتميز عليهم بإدراكها السليم ، وصادق شعورها . واتى ما تكلمنا معها إلا وفهمتنا وفهمناها ، والتقىنا معها فى إدراك عام واحد . ولكم كان رائعا ونحن عائدین ذات يوم من المستشفى إلى معتقل الزيتون ، أن تحدث سائق التاكسى « عثمان » على غير انتظار فى السياسة ، قائلا فى صراحة لاذعة « يقولوا علينا إحنا الناس الغلابة إننا ما بنفهمش . . . صحيح إحنا ما تعلمناش زى ما تعلموا . . . ولكن . . . برضه جهله لكن بنفهم . . . وعندنا إدراك ! وفاهمين إيه اللى حاصل فى البلد . . . فاهمين إن كل الناس بتوع السياسة أصحاب مصالح وكدايين . . . ومستحيل يسألوا فينا بعد ما بيوصلوا . . . وإن البلد مستحيل تصلح إلا بالناس اللى زينا . . . إلا بالسياسيين بتوع الشوارع اللى عندهم إدراك صحيح وبنفهموا » . هذا « الإدراك العام الجديد » ليس بالإصطلاح العلمى المبتدع . إنما هو رباط نفسانى ، يربط ما بيننا وبين طبقات الشعب العاملة التى ينتمى إليها هذا السائق . وما أسرع ما نلتقى فيه مع رجل الشارع ، وإن استحال أن يصل إليه رجل الصالون بتفكيره الوصولى . وسوف يجمع هذا الإدراك العام أغلبية الشعب الغالبة ما عدا حفنة من الوصوليين وطلاب المنافع . إلا أن تسكتل الشعب حول هذا الإدراك العام الجديد لن يكفى

وحده لنجاح حركتنا الشعبية ، ولا بد أن تصبحه فلسفة كفاح جديدة تنقله من حيز الوجدان إلى حيز العمل ، تنقله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة ، فكما أن الإدراك العام هو خامة المبادئ والبرامج ، كذلك فلسفة الكفاح هي خامة التدبير التي تستخلص منها طرائق التنفيذ ووسائله . والمبادئ والبرامج بلا وسائل ، أقرب شيء إلى رؤوس مواضع الإنشاء التي يكتبها صغار التلاميذ في المدارس .

هذا « الإدراك العام » وهذه « الفلسفة الكفاحية » هما الرباط النفسي الذي يربط ما بين جنود الحركة وقادتها ، ما بين الشعب والزعامة . والحركة التي لا تقوم على إدراك عام حق وفلسفة كفاح سليمة ، يكون طريقها ملتويا وسيرها معوجا ، ووحداتها متباعدة مفككة . وما انعدام ذلك الرباط النفسي إلا هوة سحيقة تفصل ما بين الزعماء والشعب . كما تتمخض عن فجوات متتالية بين بعض الزعماء والبعض الآخر من جهة ، وبين بعض طوائف الشعب والبعض الآخر من جهة أخرى . فتكثر الخلافات والانشقاقات من وقت لآخر ، ويفلت زمام الشعب من يد الزعماء ، وتختل عجالات القيادة . وهذا ما نلاحظه بجلاء في الأطوار السابقة للحركة المصرية ، لافتقارها إلى « الإدراك العام » و « فلسفة الكفاح » السليمة فلو مررنا على زعامة عرابي العسكرية ، وقد اصطبغت بالصبغات الوطنية والإسلامية والاجتماعية كآرائنا ، وكادت تقوم على إدراك عام شامل وفلسفة كفاح سليمة بارتكازها على الجيش ، عماد كل حركة قومية ، ورافع ألويتها وحامها . لو مررنا على تلك الزعامة التي سارت بنجاح في طريق وعرمل ، بالأشواك ، بين دسائس الكراكة ، ومضايقات الحديوى ، وتدخل الدول الأجنبية حتى هوت تحت ضربات دولة غازية ، مصحوبة بطعنات الغدر والخيانة . لو مررنا على طور الزعامة العسكرية هذا

في طريقنا إلى طور الزعامة الأدبية ، لوجدنا تلك الزعامة عاطفية
بجدة ، اقتصرَت على إيقاظ الشعور القومي بالمقالات والمنشورات والخطب
وإذا كانت قد نجحت بذلك في بعث القومية المصرية من مرقدِها ،
إلا أنها لم تقمها على إدراك عام جديد ، ولم تستند إلى فلسفة كفاح
سليمة . ولهذا لم تلبث أن دب فيها الشقاق ، فتصدعت الكتلة القومية
بظهور حزب الإصلاح وحزب الأمة . ثم أفلت زمام القيادة منها
بتلك السهولة خلال ثورة سنة ١٩١٩ ليستقر في يد « الزعامة
القانونية » التي لم تدبر تلك الثورة ولم تنظمها ، وإنما ركبتها ووجهتها
وفقا لعقلية زعمائها القانونيين الذين اجتمعوا حول ما بعد ظرفا
طارئا ، أو فرصة مواتية ، ولم يجتمعوا حول إدراك عام جديد
وفلسفة كفاح جديدة . ولهذا لم يستمروا طويلا حتى دب الخلاف بينهم ،
وتتابعت الخلافات والانشقاقات من وقت لآخر . وظهرت الأحزاب
ذات العقلية السياسية القانونية بجانب الوفد ، مؤسس زعامة القانون ،
الذي لا يزال محتفظا بالكثيرين من أنصاره ، وإن فتر تعلقهم به إلى
إلى حد لم يعودوا ليتخرجوا معه عن التصريح بأنهم ما كانوا ليستمروا
في تأييده لولا عدم وجود حزب آخر أحكم توجيهها ، وأبعد آمالا ، وأعظم
بأسا . حتى لقد انسلخ عن موكبه الشعبي مئات الشبان ليؤلفوا « جماعات
الأنحلال » التي كثرت وتعددت بأنقسام الوجود منها ، وبظهور جمعيات
جديدة . وقد قلب الشبان الحائرون بينها . . . يخرجون على جماعة
لينضموا إلى أخرى لا يطيلون البقاء فيها وهكذا . . . ولا عجب فكل
جماعة لم تكسبهم بكفاية دعايتها وقوة مبادئها ، وإنما هم دخلوها بدافع
التلهف ، لعلهم يجدون في نشاطها ما يشبع طموحهم ونزوعهم إلى العمل
والظهور العاجل . وسرعان ما يخرجون عليها باحثين في غيرها من

الجماعات عن صالتهم المنشودة . مما يدل على أن هذه الجماعات تفتقر جميعاً إلى كفاية التنظيم ، حتى لنراها لا تستطيع الاحتفاظ طويلاً بما يفد عليها من التلهفين الحائرين . ولو كانت قد قامت حقاً على إدراك عام جديد وفلسفة كفاح جديدة لكسبت الأنصار ، ولاحتفظت بهم ، ولعبأتهم لا كغسب غيرهم ، ولا امتدت حركتها إلى طوائف الشعب جميعاً . ولما رأينا من أنصارها من يرجع إلى قواعده في الأحزاب القديمة يأساً من الجماعات الناشئة ، وقد وجدها أشبه شيء ببراغم الجيل القديم ففضل الأصل على البراعم !

بجانب مظهر الخلافات والانشقاقات ، وتعدد الجماعات ، والفوضى الحزبية عموماً ، يوجد مظهر آخر لانعدام الرباط النفساني بين الزعماء والشعب . ألا وهو إفلات زمام الحركات وتباين النزعات النفسية للشعب والزعامة . فكم مرت على البلاد ظروف كان بعض الزعماء فيها ثائراً والشعب هادئاً . بينما رأينا الشعب في ظروف أخرى متحفزاً للعمل العاجل ، والزعماء هادئين يدعونه إلى الهدوء والسكينة وما هذا إلا نتيجة طبيعية لكفاح الزعماء العاطفي الارتجالي ، ولعدم ارتباطهم مع الشعب بفلسفة كفاح واضحة ، لا بد أن يتشربها الناس كجنود الحركة ليتفهموا أوامر الزعماء وينفذوها . وقد كان الواجب أن يشربهم الزعماء إياها قبل دخول المعارك ، شأن الجندي المحارب لا يوجه إلى ميدان القتال إلا بعد إلمامه بفن الحرب إلماماً كافياً يربطه بالقيادة تماماً .

تلك الفجوة النفسية تبدو لنا في حركة نوفمبر ١٩٣٥ بأجلى معانيها . فقد حدث قبيل تلك الحركة أن عم القلق ، وخاف الناس أن تذهب فرصة الحرب الإيطالية الحبشية سدى ، وأن لا تستغل البلاد فرصة توتر

الظروف الدولية في تسوية حسابها مع بريطانيا بالدخول في مفاوضات جديدة . وقد تبرموا بوزارة نسيم وبتأييد الزعماء لها ، وضجوا لتصريح هور ولزج الانجليز أنوفهم في اختيار نظام الحكم الدستوري ، مما أدى إلى تحفز الجناح المتطرف من الوفد للعمل ، وقيام العقاد بحملته الصحفية على ركود الزعامة . وعندما بدأت الاضطرابات في ١٣ نوفمبر ، لم يكن الزعماء ليمسكوا زمامها تماما . بل أفلت من أيديهم أكثر من مرة ، وكان القائمون بالحركة من الشبان يوجهونها بتفكيرهم الخاص المستقل . حتى لقد ظل الكثيرون منهم مصرين على الاستمرار في الثورة ، على الرغم من دعوة الزعماء اليهم بالهدوء عقب عودة الدستور . ولم يلزموا الهدوء إلا بعد وقت وجهد ، وبعد أن صدر قانون العفو الشامل عن الجرائم السياسية التي تخللت الحركة . فكان كل ذلك إيذانا بزوال هبة الزعامة القانونية التي أخذت علامات انهيارها في الظهور . كما شرع الشبان ينزلون إلى الميدان السياسي كهيئات أو جمعيات مستقلة ، تزايد عددها كعرض من أعراض الانحلال ، الذي ظهرت بوادره الأولى في حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، مما حدا بنا إلى اعتبارها نقطة تحولها في طريق حركتنا القومية .

وتبدو لنا أيضا تلك الفجوة النفسية بين الشعب والزعامة ، من زاوية أخرى في حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، من حيث انحصارها في المثقفين فقط ، إذ هي اقتصر على مظاهرات الطلبة ، واحتجاج الأساتذة والمستشارين والمحامين الخ . . ولم تمتد إلى طبقات الشعب العاملة ، إذ لم يشترك فيها العمال والفلاحون كما اشتركوا في ثورة ١٩١٩ وما كان ذلك إلا لافتقار الحركة الوطنية إلى عمودها الفقري الاجتماعي ، ولفقد الطبقات العاملة كل إيمان بنجاح الحركة بعد أن لمسوا بأيديهم تلك الحقيقة ، ورأوا

الحركة الوطنية قد تحولت على يد الزعامة القانونية عن هدفها الأسمى إلى تكالب وتنازع على المناصب ! وقد بدا لهم تعاقب الزعماء في الحكم كتفنيذ أوراق اللعب تماماً . يدخل هؤلاء الحكم وفي الشعب ملايين من الجهال والجياع وأنصاف العراة ، ليحظوا بأرفع الألقاب ، وليتقاضوا أعلى المرتبات . . ثم يتركون الحكم والفقراء على فقرهم ، والجهال على جهلهم ، ليتولاه آخرون يتقاضون نفس المرتبات ، ويحظون بنفس الألقاب ثم يخرجون هم أيضاً من الحكم ليتولاه غيرهم ، ثم ينصرفوا عنه والشعب هو هو بين هؤلاء وهؤلاء يرسخ في أغلال الفقر والجهل والمرض ، ويجيا حياة الدواب والبهائم !

الواقع أن هذا الجيل من الزعماء المصريين ودعائهم وبراعمهم لا يريد أن يفعل شيئاً ، أو لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنقص في كفايته وثقافته واستعداداته . وهو إن أظهر عطفاً على العامل والفلاح لا يفعل ذلك إلا لمجرد الحصول على أصوات الناخبين ، أو خلق الأسماء الشعبية الطنانة ! وقد لا تجد في خطبهم ومقالاتهم وبرامجهم شيئاً أكثر من الصياح وإثارة العواطف . وإذا شاء أحدهم أن يذهب إلى ما هو أبعد من مجرد القول « يجب أن نفعل شيئاً » وصرح بما يريد أن يفعل ، كشف بذلك القناع عن حقيقة نواياه ، وعن الروح التي يبحث بها مشا كل المجتمع ، والاتجاه الذي يريد أن يصب فيه إصلاحاته !

أقول هذا وأنا مطمئن كل الاطمئنان إلى صحة ما أقول . فما من إصلاح أو علاج لمشكلة من مشاكل هذا البلد تقدم به وزير ، أو نائب ، أو كاتب من رجال الأحزاب الوصولية القديمة ، إلا وكان مشبعاً بالمصلحة الطبقية ، وقائماً على افتراض وجود نظام الطبقات ، كأمر طبيعي ، وضرورة اجتماعية لا غنى عنها لانتظام الكون ! ولا عجب فأغلب هؤلاء

الزعماء والحكام ودعاتهم ، وقد درجوا على أبهة المناصب وبهرتهم مرتباتها الضخمة وألقاها السامية ، أصبحوا بعيدين كل البعد عن حياة السواد الأعظم من الشعب . وهم إذا نظروا إليه ، فإنما ينظرون إليه من شرفة كلوب محمد علي أو تراس سميراميس . . ينظرون إلى الملايين من أبناء هذا الشعب كمخلوقات دنيا ، ليس لها أن تعيش كما يعيشون ، وهي في نظرهم خلقت لتكدر وتشتت وتنجوع لينعم على حسابها الحكام والأعوان والسادة !

فهل الشعب المصري من الغباء والحرق بحيث ينتظر الخير على يد رجال من هذا الطراز ، ويتركهم يتولون زمام أمره إلى الأبد ؟ وإذا كان الشعب قد أدرك تلك الحقائق ، فإلى متى يقف موقف المتفرج من عملية التفتيت الحزبية ، ولا يقذف إلى سلة النسيان بتلك الأحزاب كأوراق لعب قديمة بليت ولم تعد تصلح حتى لمجرد التفتيت ! ؟ أما أن الشعب قد أدرك بذكائه الفطري وإدراكه السليم حقيقة هذا الجيل من الزعماء المصريين ، ولم يعد يؤمن برجل واحد من رجاله ، بل طفق يتطلع إلى جيل جديد من الزعماء والقادة ، فهذا ما يدل عليه وقوفه موقف المتفرج من تنازع الأحزاب الرخيص على الحكم ! ولا نظن الشعب سيظل في موقف المتفرج طويلا ، فهو يتأهب وينتظر . ومهما حاول أحد رجال ذلك الجيل ، خلال هذا الانتظار ، أن يتصل من جرائمه ومخازيه ، ويلقى مسئوليتها على سواء ، فلن يستمع إليه أحد ، ولن يستطيع أن يخدع الشعب لينجو من تلك النهاية المحتومة للجيل القديم بأسره ، أحزابه وبراعمه ورجاله ! فالشعب يدرك تماماً أن هؤلاء القوم ، الحزبي منهم والمستقل ، إنما يمثلون مدرسة سياسية واحدة ، تفكيرها واحد ، ومخازيها واحدة ، ومصيرها بعون الله واحد ! ومهما تنصل أحدهم من

المسئولية محاولا إلقاءها على سواء ، فجميعهم في الجرم سواء .
وهم يشتركون جميعاً في جرائم استغلال النفوذ والاستثناءات والمحسوبية
والإثراء على حساب الغير . فما رأينا حزباً واحداً استطاع أن يدفع عن
نفسه هذه الجرائم بما هو أكثر من نسبتها إلى الآخرين ، لكان الجريمة
تبرر الجريمة ، ولكان الأمر لا يمس حياة شعب كامل !

إن نهاية العهد القديم آتية لا ريب فيها ! ولا مكان في العهد الجديد
لرجالهِ وبراعمه . ونحن نجرم في حق أنفسنا ، وحق الأجيال القادمة إذا
تركنا لأمثال هؤلاء الوصوليين مكاناً في عهد لم يشتركوا في بنائه ، ولم
نوطد أركانه بعد ، وعلينا أن نحصر بكل الوسائل على صيائه ، وإطراد
تقدمه ونجاحه !

إن طريق العهد الجديد مستقيم واضح ، ومهما كان هذا الطريق طويلاً
شاقاً ، فالواجب على كل وطني مخلص أن يقدم على اجتياز مراحلهِ ، متسلحاً
بالإيمان والإصرار والشجاعة !

إن مئات الآلاف من المترددين الحائرين الواقفين في مفترق الطرق ،
إنما يهيبون طول الطريق ، ويشفقون على أنفسهم من العوائق والمتاعب
التي اعترضت ولا تزال تعترض الطليعة المؤمنة المسكفة التي أصرت على
مواصلة السير إلى النهاية . بينما تخلف المستضعفون والوصوليون في منتصف
الطريق ، باحثين عن طريق آخر أهون وأقصر . وقد زوقت لهم
عقليتهم الانتهازية أن يرجعوا إلى الوراء متى وجدوا في ذلك مغنا ، أو أن
ينحرفوا ويلتوتوا هرباً من العقبات والمصاعب ! وسرعان ما ينتهي بهم
الأمر إلى العودة إلى أحضان العهد القديم ، والتنكر للحركة الجديدة ،
وإن تظاهروا بعطفهم عليها من وقت لآخر .

إن أمثال هؤلاء الوصوليين الذين يعودون إلى الاستغلال بظل العهد القديم ، ويحملون بأن يسيطروا على أحزابه أو يرثوها ، هم ولاشك يؤمنون عنصراً انتكاسياً خطيراً ، يطيل في عمر العهد القديم ، ويؤخر بعض الوقت نهايته المحتومة . ولا أحسبني متجنباً إذا قلت إن هؤلاء هم أعدى أعداء العهد الجديد ، وأخطر العناصر المهددة لنجاحه واستمراره لأنهم يطمعون في نفس المسكنة المفتعلة التي كان يتمتع بها رجال العهد القديم ، ويريدون أن يحتفظوا بالمزايا الاستثنائية التي كانوا يستأثرون بها . وهم ولاشك منهم بمثابة البراعم ! ولو أتاحت لهم الفرصة لقاموا مستقبلاً بنفس الدور الذي قام به أساتذتهم بالأمس ، وظلوا عنصراً متجدداً من عناصر الفساد السياسي في مصر ، وحقلاً خصباً للوصولية السياسية ، التي نثر المستعمر بذورها الأولى ، والتي يجب القضاء عليها تماماً حتى نبعث القومية المصرية في طور جديد ناجح . وإذا كان رجال الجيل القديم قد تشربوا تلك الوصولية الآتية في ظل الحماية ، فإن هؤلاء الشبان وقد تشربوها في عهد الاستقلال الداخلي ، وتنكروا للأفكار الثورية والتقدمية التي عاصروها ، ليعدوا في نظرنا أعظم إجراماً ، وأدناً غرضاً . وإن علينا نحن المكافحين الأحرار أن نحرص على تنقية صفوفنا من الوصوليين أولاً بأول . وأن نعمل على استبعادهم من ميدان السياسة المصرية تماماً !

لقد صادفت الكثيرين من أمثال هؤلاء الشبان الوصوليين خلال مرحلة التغافل ، وعشت مع بعضهم في معسكرات الاعتقال أشهراً وخبرت عقليتهم فإزددت إيماناً بوجوب هذا الاستبعاد . ويخطيء من يحسن الظن بنواياهم ، ويأمل علاجهم . فالوصولي وصولي بطبعه لن يستطيع التحرر

من وصوليته مهما ارتدى ثوب المكافح . وإذا تسرب أحدهم إلى صفوف
المكافحين ، ولم يكتشف فيستأصل منها ، كان فيها نقطة ضعف ، ما أسرع
ما تظهر عند أول محنة تمر بها الحركة الجديدة ، وتشكك في نجاحها
وتقدمها . عندئذ يتخلف الوصوليون عن الصفوف ، ويتنكرون للحركة ،
وينقلبون حرباً عليها ، ولكم أخذت جماعات الانتقال دروساً قاسية في هذه
الناحية ، يوم تركها بعض أنصارها ليعودوا إلى أحزاب الجيل القديم ،
مفضلين النفع العاجل على النصر الآجل .

تلك دروس يجب على قادة العهد الجديد أن يضعوها دائماً نصب
أعينهم . وقد بدأت شراذم الوصوليين الذين عاشوا على فتات العهد البائد
تندس في صفوف الحركة الجديدة . وقد صور الغباء لبعضهم أن في
استطاعتهم أن يسدلوا ستار النسيان على ماضيهم ، وركوب الاتجاه الجديد
اعلمهم يحتفظون بزعامة المهدين وهم أبعد الناس عن روح العهد الجديد ،
وأعجزهم عن تحمل مسؤولياته ، والتزام أهدافه ، والعمل على تحقيقها
بإخلاص وأمانة .

لم يعد في العهد الجديد مكان لأحزاب الجيل القديم وبراعمه وما كانت
غالبية هذه الأحزاب لتعيش لولا انقيادها للرجعية والفساد ، ومهادنتها
للمستعمر . وقد اتخذت منها الرجعية أدوات للانقلابات الدستورية المتعاقبة
التي استنفدت جانباً كبيراً من قوى البلاد ، وحوّلت الحركة الوطنية عن
طريقها الحق الواضح كما رأينا . واليوم وقد انتهزت الرجعية بحركة الجيش
الباسل ، أصبح من المفروغ منه زوال أحزاب الأقلية واختفائها من
الميدان تماماً . والحزب القديم الوحيد الذي يستطيع البقاء هو حزب
الوفد ، مؤسس الزعامة القانونية ورافع لوائها ، الذي لا يزال محتفظاً

بالكثير من الأنصار ، متمتعاً بمكانة شعبية لا يمكن تجاهلها . إلا أن هذا البقاء مؤقت بطبيعته ، ولن يستطيع الوفد الصمود في منحدر الانحلال طويلاً . وقد كان في استطاعته الخروج من فترة الانحلال بسلام ، وتجنب نهائيه المحتومة ، لو أنه عمد إلى إعادة تنظيم صفوفه وتنقيتها من الاقطاعيين والوصوليين ، وبادر إلى تقوية « العنصر الاجتماعي » أو الاشتراكي في مبادئه وبرامجه ، بحيث تركز عليه وتؤلف معه إدراكاً عاماً جديداً ، يرد الإيمان إلى الطبقات العاملة المجردة المحرومة !

لقد عجز الوفد عن أن يخطو مثل هذه الخطوة ، ولم تشبع برامجه الجديدة رغبة الشعب في الإصلاح . وما كان هذا الحزب الكبير ليستطيع السير في طريق العهد الجديد ، وهيئته العليا على ما هي عليه من حيث « التمثيل الطبقي » . ومهما قدم من برامج جديدة براقة ، فلن يستطيع الوصول فيها إلى الحد المرغوب . ولن تطمئن إليه كتلة الشعب ما لم يبرز الدليل على عزمه الأكيد على التوسع في هذه البرامج ، والإخلاص في تنفيذها ، بإعادة تشكيل هيئته العليا ، بتطهيرها من الاقطاعيين والوصوليين ، وتطعيمها بأعضاء جدد يمثلون الطبقات الشعبية العاملة ، وتقويتها بدم جديد من الفنيين والاقتصاديين ، والشبان الموهوبين بكفاية التنظيم ، راجعاً عن سياسة حشر « نمر التبرعات » وأصحاب الأموال مقدماً قائمة تبرعاته على رسالته الشعبية وحيويته .

لقد أصبح اشتراك الطبقات العاملة في توجيه الحركة الوطنية خطوة ضرورية للقضاء على فوضى الانحلال ، وبعث الحركة في طور جديد ناجح . وهذا ما تدعوا إليه تطورات « الصرح الطبقي » في مصر ، بتقدم الصناعة المصرية والنمو السريع لطبقة العمال ، وازدياد نفوذها بتجمعها

في المدن الصناعية الكبيرة . وإذا كانت فكرة الوفد قد نشأت عام ١٩١٩ في محيط الباشوات والأغنياء ، بمناسبة بعض العناصر الوثابة من الطبقة المتوسطة ، التي لم تلبث أن تركزت قيادة الوفد في يدها بتخلف أو إنشقاق « أبناء البيوتات » من وقت لآخر ، وتأليفهم أحزاب الأقليات القائمة على نفوذ الأسر والعصبيات المحلية . إذا كانت هيئة الوفد العليا قد بدأت كسبه حلف بين الطبقات العليا والمتوسطة ، ثم طغت الطبقة المتوسطة عليها ، فالمنتظر مع هذا التطور في التمثيل الطبقي أن تقوم الحركة الجديدة على حلف مماثل بين الطبقات المتوسطة والعامة . وتلك خطوة لا تظن الوفد يتطعمها بعقليته السياسية الراهنة . كما لا ننتظر أن يوفق إلى التخلص من عقلية الكفاحية القانونية ، وإلى إعادة تنظيم صفوفه التي لا يمكن تقويتها وتدعيمها إلا بتشرب فلسفة كفاح جديدة ، لا بمجرد ترقيع « لجان الوفد » بنفر من محي الظهور ، وطلاب المنافع ، ونشر أسماء أعضائها على صفحات الجرائد ، ولا بمجرد ضم عدد من « المحامين النابهين » الذين يتعذر تحررهم من العقلية الكفاحية القانونية ، إلى هيئته العليا ، كما فعل أكثر من مرة عقب حركات الانشقاق لسد الثغرات في صفوفه .

لقد أثبتت الحوادث عجز الوفد عن الاحتفاظ بزمam الحوكة الوطنية . وحتى بعد إلغاء وزارته الأخيرة لمعاهدة أغسطس ١٩٣٦ ، وإفاحتها مجال الكفاح للشعب ، ووقوفها إلى جانبه ضد الاستعمار ، لم يستطع أن يمسك بزمam هذا الكفاح ، أو أن يصونه من مؤامرة ٢٦ يناير المشثومة . كما لم يستطع أن يفعل شيئاً إيجابياً لرد الإيمان إلى النفوس بعد هذا الحادث الذي دبر للقضاء على الحركة تماماً . والذي كاد يشيع اليأس وروح

الهزيمة ، لولا أن شرت عناية الله أن يضرب الجيش ضربته المفاجئة ،
فيطيح برأس الرجعية ويسدد سحب اليأس . ويهز مرحلة الانحلال
هزاً عنيفاً !

ثم يعد في استطاعة الوفد إذن أن يدعى أنه « حامى الأمة » أو يمثل
الشعب الأوحده . فقد نمت بعض الجماعات الناشئة التي ظهرت في مرحلة
الانتقال نمواً كبيراً ، حتى لقد أصبحت تنازعه مكانته الشعبية ، ونعني بها
حركة « الإخوان المسلمين » التي استطاعت الصمود أمام موجة الإرهاب
والسكت المطلق ، التي أودت بمؤسسيها الشهيد الأستاذ الإمام حسن البنا ،
وألفت بالآلاف من أنصارها في غياهب المعتقلات والسجون . وعلى الرغم
من كل هذا الايذاء والعنت ، استطاعت أن تستأنف نشاطها أقوى
ماتكون ، معتمدة بعد الإيمان بالله على فلسفة كفاح عملية سليمة .
وقد جمعت بين الانجهاات الوطنية والاسلامية والاشتراكية ، وكاد
الإدراك العام الجديد يتبلور فيها .

وإلى جانب الإخوان المسلمين ، والحزب الاشتراكي الفنى بمناصره
القويه المكافئة على الرغم من قلة أنصاره . نرى رصيذاً كبيراً من
المسكافين الأحرار ، الذين نفروا من الأحزاب القديمة ، ورأوا من
الأنسب في مرحلة الانتقال أن يتغلغلوا في جماهير الشعب ، وأن يكافوا
كأفراد ، بدلا من الانضمام إلى جمعيات أو هيئات قد لا تتفق مبادئها
ووسائلها مع إدراكهم العام وأسلوبهم فى الكفاح . لم يكن هؤلاء
بالخائرين أو المترددين الواقفين فى مفترق الطرق . ولكنهم لم يشاءوا أن
يبددوا نشاطهم ويستنفدوا قواهم المدخرة فى « جماعات حلقيه » تدور
حول أشخاصها وتتعجل الظهور ، وتترلق إلى المحاولات السابقة لأوانها .
بل حرصوا بمقلياتهم الحركية على أن يتغلغلوا فى الميدان كطلائع الوحدات

الميكانيكية الخفيفة ، التي تتقدم للاستكشاف ، وجس النبض الخ . ونحن نقرر حقيقة واقعة إذا قلنا إن أمثال هذه العناصر المكافئة التي التفت في الميدان وكادت تتجمع نجما حركياً ، والتي لعبت دوراً إيجابياً في نشر الوعي بين الجماهير ، وفي تعبئة الشعور القومي وتهيئة الأذهان للانقلاب المنتظر ، هي عنصر صالح يمكن الاعتماد عليه في تصفية مرحلة الانحلال ، وفي بناء صرح العهد الجديد على أسس عادلة وطيدة .

هذه هي القوى الثلاث التي يضمها ميدان السياسة المصرية في مرحلة الانتقال القائمة :

أولاً — فلول الجيل القديم وبراعمه من الشبان الوصوليين الذين ربطوا مصيرهم بمصيره ، وكانوا مظهرًا صارخًا من مظاهر الانحلال والفساد ، وهؤلاء يجب تنحيهم عن الميدان . فلا يترك أحدهم يتسلل إلى صفوف الحركة الجديدة .

ثانيًا — جمعيات الانتقال التي كثرت وتعددت عندما كانت حمى الانحلال على أشدها . والتي لن يبقى منها بعد مرحلة التصفية سوى القوى الصالح الذي يستطيع أن يقطر وراءه العناصر الطيبة من الجمعيات الأخرى ، فضلاً عن كسب الكثيرين من الفريق الثالث .

ثالثاً — الرصيد المتجمع من المكافئين الأحرار الذين حملوا على أحزاب العهد القديم ، ولم ينضموا إلى جمعيات الانتقال ، أو يحاولوا تأليف جمعيات جديدة ، مفضلين المرور أولاً بمراحل التغلغل ، والتجمع الحركي والتنظيم الأساسي . وهؤلاء إما أن يستكملوا مراحل كفاحهم فيجتمعون في هيئة قوية جديدة ، وإما أن تقطعهم الجمعية الأقوى والأصلح من جماعات الانتقال ، إذا قدر لها أن تقضي على فوضى الانحلال ، وتسيطر على الميدان ، ونحسب إمساك زمام الزعامة الجديدة .

هكذا نطافح ..

كنت أسير وأحد الأصدقاء في طريق دلبس ، نتحدث عن مدينة بور سعيد ، وعن طابعها الأجنبي الخاص حق ليكاد يشعر المصري أنه غريب فيها .. فيها شركة القنال تكاد تصبح دولة داخل الدولة بسطوتها الرأسمالية ، ونفوذها الدولي .. فيها تمثيل أربعة كلها للأجانب .. وفيها حتى يقال له حتى العرب ، وحتى يقال له حتى الأفرنج ، الأول فقير مهممل قدر ، والآخر غنى منظم محاط من أولياء الأمور بالعناية . ! امتد بنا الحديث إلى قاعدة تمثال دلبس الضخم ، فأخذت صاحبي العزة والحماسة ، وصاح غاضباً : « تبا لأهل هذا البلد ! أما كان أحدهم ليفكر في نفس هذا التمثال الأجنبي القاضح أيام الاضطرابات العديدة » .

كان يتكلم والاتفعال يطل من حركاته ونبراته . وكم أزعجه أن يراني أبتسم في هدوء ، ثم أقول في هدوء : « مهلا يا صاحبي .. لقد أقيم هذا التمثال باحتفال رائع ، وما علينا إلا أن نرعه أيضاً باحتفال رائع ، لتقيم مكانه بحضور ممثلي الدول الأجنبية عامة ، تمثال الفلاح المصري الذي بذل في حفر القنال جهده وروحه وماله ! » .

كان صاحبي « عاطفياً » تشرب العقلية الكفاحية العاطفية ، فكان خاطره هذا نوبة عاطفية أثارها حديثنا عن سطوة الأجانب ونفوذهم وما كان هذا الخاطر ليحول في ذهنه لولا هذا الحديث . ولسوف ينساه بعد أيام قلائل . أما تعلقي على خاطره ، فقد كان فكرة هادئة بعيدة للرعى ، ما كنت لأقولها عفواً ، وما كنت لأنساها . وقد استقرت في ذهني

في موضع معين ، إلى جانب أفكار أخرى معينة ، كجزء من تدبير عام .
ويودى لو أراها تنفذ في يوم قريب بعون الله تبارك وتعالى .

ذلك مثل بسيط واضح أسوقه لبيان ما بين « العقلية الكفاحية
العاطفية » و « العقلية الكفاحية التديرية » من فرق شاسع . الأولى
انفعالات أو نوبات عاطفية تطفو حيناً وتهبط حيناً . . . وهى أشبه شيء
بالحركات الدائرية الموضعية ، يفصل ما بينها الزمن والارتجال ، فلا تتصل
ولا تستمر . . ما يسر ما تستفز ، وما أسرع ما تنور وتحمم ، وما أكثر
ما تتباين وتتناقض باختلاف الظروف والدوافع . ولهذا لا نستطيع أن نعدّها
جهاداً ، لأن أول مستلزمات الجهاد أن يتصل ويستمر ويتكامل .

هذه الحركات العاطفية الموضعية أشبه ما تكون بالدورات ، تدور
حول نفسها ، وتهبط بالقائمين بها إلى القاع . وهى لا تحدث تياراً جارفاً
كالحركة التديرية المتصلة الحلقات والمراحل . ولو استعرضنا الأدوار
التي مر بها كفاحنا الوطني في الربع قرن الأخير ، للمسنا بجلاء تلك
النوبات العاطفية التي تظهر الواحدة منها قوية ، ثم لا تلبث أن تفتت وتحمم
بعد أسابيع ، أو حتى أيام قلائل . . . ثم تعقبها فترة هدوء ، ثم نوبة
عاطفية أخرى في اتجاه آخر . مثلاً حدث أكثر من مرة أن دعى الشعب
المصري إلى مقاطعة البضائع الأجنبية وتشجيع الصناعات المصرية . وفي كل
مرة كانت تقتصر حركة المقاطعة على إلقاء الخطب ، ونشر المقالات ،
وإصدار البيانات ، وإثارة العواطف . وما أسرع ما ترى الكل متحمسين
ولدعوة المقاطعة مرددين ، دون أن تمتد هذه الحركة عملياً وتوسع . وحتى
الذين هم على رأسها نراهم أول المترددين في تنفيذها . وهكذا لا تلبث أياماً
حتى تفتت وتحمم إلى الأبد ، أو تعود إلى الظهور بعد أمد طويل في نوبة
عاطفية جديدة . ولو كانت حركة المقاطعة قد نظمت على أساس العقلية

الكفاحية التديريية ، وأنخذت من الوسائل العملية ما يكفل ضمان تنقيدها واستمرارها لأنت بأطيب النتائج . وهذا ما المسناه في الدول التي بنت حركات المقاطعة المماثلة على أسس عملية كحصرها قبل كل شيء في التجار ، لأن الهيمنة عليهم أيسر وأجدي من الهيمنة على الجماهير . ولأن يستطيع التجار أن يعرفوا تلك الحركة ، أو يقاوموها ، إذا روقبوا بواسطة المكافئين المكلفين بالمراقبة ، ورأوا الخارجين على الحركة منهم قد عرضوا أنفسهم لخسائر أفدح بكثير مما يحدثه تنفيذ حركة المقاطعة من خسائر ! على هذا الأساس العملي التديريي نجحت حركة المقاطعة في الهند ، ولو لم يوقفها الزعماء ملبين دعوة الإنجليز إلى مؤتمر المائة المستديرة ، لاستمرت وأنت بأعظم النتائج . وقد كان الواجب أن لا توقف هذه الحركة ، وأن تستمر مع استمرار المفاوضات ، فإذا فشلت أمكن مواصلة الحركة بعزيمة أقوى . مع مضاعفة الجهود المبذولة فيها . لأن كل حركة شعبية إذا توقفت ، تعذر بل استحالة استئنافها من جديد . ولهذا كثيراً ما كان الإنجليز يلعبون لعبتهم التقليدية بطلب إيقاف أمثال تلك الحركات في مصر والهند وفلسطين باسم الدخول في مفاوضات جديدة . ومن أمثلة الحركات العاطفية أيضاً تلك المظاهرات التي تجوب الشوارع ، ولا تقوم على ما هو أكثر وأجدي من الهتاف . والهتاف بطبيعته مجهود ضائع ! وفي الوقت الذي لم نحقق فيه المظاهرات العاطفية في دول الشرق الأوسط أية نتيجة عملية ، رأينا حرب العصابات تنجح في شوارع أيرلندا وتحقق استقلالها انتام بفضل العقلية الكفاحية التديريية للزعيم الأيرلندي دى فاليرا . وبالمثل في الوقت الذي فشل فيه الشيوعيون والاشتراكيون الديموقراطيون في إيطاليا وألمانيا ، ولم تصمد مظاهراتهم العاطفية أمام فرق موسوليني وهتلر المدربة ، رأينا الحرس الأحمر ينجح

في روسيا في إقامة النظام الإشتراكي الجديد بفضل عقلية لينين التديرية العظيمة ، وتفوق وسائل كفاح البلاشفة .

وهكذا نرى العقلية الكفاحية التديرية تفوق دائماً ، وفي كل مكان ، على العقلية الكفاحية العاطفية ، لأنها لا تعرف مثلها الارتجال ولا الاستفزاز ، وإنما تسير في حدود خطة مرسومة بحركة مستقيمة متواصلة مستمرة ، تتصل مراحلها بعضها ببعض الآخر في ترتيب استراتيجي ، وتتجمع نتائجها في وحدة الزمن ، إذ تجد في اجتيازها لكل مرحلة القوة الدافعة لاجتيازها مرحلة أخرى تتلوها . وهكذا حتى تصل إلى هدفها الأخير ، وتحقق نتائجها جميعاً .

بتلك « العقلية الكفاحية العاطفية » العقيمة ، سارت الحركة المصرية بتوجيه الزعامتين الأدبية والقانونية . فكركة مرتجلة ، فكان نصيبها الفشل المحقق . وصبغت السياسة المصرية بصبغة العاطفة العمياء التي سلبت الجماهير تفكيرها بحيث لم تعد تعرف إلا التأييد الأعمى والكرهية العمياء ، وبحيث تحولت إلى قطيع من المتنافين المنساقين وراء الأشخاص لا وراء المبادئ . من هنا نرى كيف كان زعماء الجيل القديم يقربون إليهم أصحاب الحناجر ! وكيف يترأى لهم الجهاد خطباً وهتافاً وصخباً . يحشدون لجانبهم للتأييد أو للاحتجاج ، ويطلقون المظاهرات الصاخبة في الشوارع . وماذا لو تظاهروا عشرون مليوناً وهتفوا عشرين مليون سنة بحياة الاستقلال وسقوط الدولة المحتلة ؟ ! أيهمط الاستقلال عليهم من السماء ، وتجلو جيوش الاحتلال عن أراضيهم ؟ وهل يعد مجرد إظهار الشعور قياماً بالواجب ؟ ! وأي تفكير أتفه من أن يضرب المرء رأسه في الحائط وهو يصبح : « فليسجل التاريخ وليشهد العالم ! » .

من تلك العقلية الكفاحية النافذة السخيفة عملنا وتقرنا . وخرج نفورنا هذا خلال حركة نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، إلى حيز التفكير في وسائل كفاح عملية جديدة ، مدركين ضرورة تشرب الشعب المصرى لفلسفة كفاح جديدة . وقد بدت لنا العقلية الكفاحية القانونية شاذة ، غريبة بالنسبة لحقائق الأشياء وظروف العصر . لكننا كنا نساأل أنفسنا من حين لآخر : إذا كان وفر ١٩١٩ قد تخير أساليب كفاحه وفقاً للعقلية القانونية لزعمائه ، فقد كان ذلك في وقت كانت مبادئ تقرير المصير ، وحق الأمم الضعيفة في الحياة ، هى السائدة فيه . أما اليوم ، والعالم كله مؤمن بسياسة القوة ، والمعاهدات والمواثيق لا قيمة لها ولا وزن ، والأمم الصغيرة يضحي بها وتبتلع ، لا بد وأن يأخذ المكافحون الوطنيون « بفلسفة القوة » ، ويبنوا وسائل كفاحهم على أساسها .

كان الوطنيون المصريون في ظل الزعامتين الأدبية والقانونية ، يتغنون بالحقوق ، ويستنكرون القوة . ولستم حاولوا تبرير عقليتهم الكفاحية العاطفية الشاذة بالتغنى بعبارة « الحق فوق القوة » أو بالقول « فلتفعل القوة ما تشاء » ! إلا أنهم ما كانوا في قرارة نفوسهم ليفعلوا أن القوة فوق الحق وأن الحق في يد الضعيف لا اعتبار له ولا أثر . فقد علمتهم التجارب القاسية هذا ، وأدركوا بفطرتهم السليمة هذا . وما كان لهم إلا أن يدركوه بعد أن عرضوا للرصاص صدورهم العارية ، وهجموا على المدافع الرشاشة بالمناويل ، وسجلوا بذلك بطول نادره ، وتضحية فذة ، وتفانيا نبيلاً .. ولكن ماذا استفادوا واستفادت الأجيال القادمة ... وأية نتائج عملية حققوها ؟ !

لنرجع إلى أدب الثورة ، فذلك المنفلوطى أحد كتبها المعاصرين يقول : « اجمعوا جموعكم الهائلة في أى مكان تريدون . واهتفوا بجميع

ما يمر بخواطركم من أمانيتكم القومية ، حتى تبيع أصواتكم وتنشق
حقوقكم . فأنتم في نظر الساسة الإنجليز لصوص مجرمون ، ما خرجتم
مخرجكم هذا إلا لسرقة الحوانيت ونقب الجدران ، وتكدير صفاء الناس
والإخلال بالأمن العام . لا تتركوا وسيلة من الوسائل تعلمون أنها تعبر عن
مشاعركم وخوارج نفوسكم إلا واتخذوها وتذرعوها بها ، فهي جميعها
مظاهر كاذبة ، ومناظر تمثيلية لأن القوة قد حكمت بذلك . وحكم القوة
هو الحكم العادل . »

نعم حكم القوة هو الحكم العادل ! وإذا كان الكاتب قد قالها تهكما
فقد انطبعت يومئذ في ذهنه ، كما انطبعت في أذهان الجماهير حقيقة واقعة
وإن طغى عليها إلى حين لجب الثورة واندفاعها ، وقصورها الدائى الذى
حال بعض الوقت دون رجوعها عن الطريق الخاطئ الذى رجت بها
فيه أخطاء القيادة .

وكان ولا بد إن يصدم الشعب بالحوادث المتتابعة صدمة عنيفة . وأن
يكون لنفوره البطيء من العقلية الكفاحية القانونية ، وقلقه المتزايد على
مصير الحركة رد فعل ، وأى رد فعل ! لقد تحول الإقدام إلى فتور . .
وتطور الفتور فى النفوس الضعيفة إلى يأس . فإذا بالشعب الذى كان
يتقدم إلى المدافع الرشاشة بالطوب والمناويل يفترو ويتخاذل فيقعد عن
الكفاح ، ويثبط هم المكافحين بترهات جرت مجرى الأمثال ، مثل
« سعد باشا قال ما فيش فايده » و « انت حاتن فى مالطه » و « بلد
بتعبد جحش حش وارميله ! » ومما ثبت هذا اليأس فى نفوس الطبقات
الفقيرة والمتدهورة افتقار الحركة الوطنية إلى عمودها الفقرى الاجتماعى
وقد ظلت الفوارق الاجتماعية على ما هى عليه ، والمظالم الاجتماعية على

حالتها في ذلك المسخ الذي جاء به الزعماء من بنود قانونية جوفاء ، إلى مقاعد نيابية عرجاء ، إلى مناصب وامتيازات يستأثر بها الأغنياء والكبراء ، إلى . . إلى . . مما أطلقوا على مجموعته « استقلالاً » وجيوش الاحتلال رابضة . ولهذا كان طبيعياً أن لا تمتد حركة نوفمبر ١٩٣٥ إلى تلك الطبقات ، وأن يقول أغلب من عاصروا ثورة ١٩١٩ لشباب الجيل الجديد عند قيامه بتلك الحركة ، « لقد فعلنا أكثر من هذا وأخطر ، ومع ذلك لم نصل إلى نتيجة ! » وأن يصل الأمر إلى حد مصارحة مجاهد كبير من زعماء الجيل القديم للشباب المندفع المتطرف بقوله يومئذ ، « إذا كان على الاستقلال الذي انتووا عاوزينه ولا اتمين مليون شهيد ! » لـ « لـ كـ أن الاستقلال أنواع ، ولـ كـ أن الزعماء يريدون استقلالاً ، والشعب يريد استقلالاً آخر ! لـ كـ أن الزعماء يريدون استقلال البرلمانات والوزارات ، والشعب يريد الاستقلال الذي يؤخذ ولا يعطى . يريد الاستقلال الذي يتفق وعزته القومية ، والذي يهيمن به على أقداره السياسية والاقتصادية في الداخل والخارج معا ، بحيث يتحرر من كل سطوة أجنبية ، ظاهرة كانت أم مستترة ، مباشرة كانت أم غير مباشرة . وبحيث يكون حراً مطلق الحرية في اختيار النظام الذي يترأى له الأصاح لضمان رفاهيته المادية ، ولأن يكفل لكل فرد فيه حداً مناسباً من المعيشة الطيبة ، على قدم المساواة بين جميع المواطنين ، وعلى أساس الاشتراك في التمتع بخيرات الطبيعة وثمار العلم والمدنية .

في حركة نوفمبر ١٩٣٥ ، التي اعتبرناها بحق نقطة تحول هامة في طريق الحركة المصرية ، كان التباين واضحاً على هذا النحو بين التفكير الاجتماعي للزعماء ، والإدراك الاجتماعي للشعب ، بين العقلية السكفاحية

للزعماء ، وبين فلسفة كفاح الجيل الجديد . فكان الزعماء يبدون في نظر الشباب معتدلين مفرطين ، بينما كان الشباب يبدون في نظر الزعماء مندفعاً متهوراً . ولم يكن تفكير الشبان في استخدام وسائل كفاح عملية جديدة ليصادف من زعماء الجيل القديم قبولا !

كان الشباب يسير بفطرته السليمة صوب « القوة » والزعماء يتهيئون مسئولياتها الخطيرة . فبدأت جموع الشبان تتخرط في فرق التدريب . وظهرت القمصان الخضراء والزرقاء والبنية إلى عالم الوجود . وكان من ثمار هذا الاتجاه العسكري الجديد حركة التدريب العسكري في الجامعة والأزهر والمدارس . وكان من ثماره أيضاً ظهور الخلايا الوطنية في صفوف الجيش والبوليس . ويرجع الفضل الأول في تربية جيل جديد من الضباط الوطنيين الأحرار إلى جهود الفريق عزيز المصري ، الذي لم يكن لتطمئن إليه الرجعية أو الاستعمار ، فحرصا على إبعاده من الميدان ، وتعرض للكثير من الاضطهاد والضغط المتواصل .

هذا الاتجاه الجديد ، شأن كل اتجاه جديد كان لامفر من أن تعلق به بعض الأفكار الغربية قبل اختباره ونضوجه فهولاء بعض الوصوليين يتظاهرون بالسيف فيه . وهوؤلاء بعض المتلهفين والمندفعين بطموحهم الشخصي يحاولون اقتحامه اقتحاما قبل تسويته وتمهيده . وكان الواجب أن تتوسط فترة انتقال بين العقلية الكماحية العاطفية ، وبين فلسفة الكفاح الجديدة يتاح فيها للأذهان أن تتخلص من العقلية العاطفية تماماً ، ويتاح فيها أيضاً لفلسفة الكفاح الجديدة أن تنضج وتستقر ، وأن يتشربها الناس خالصة سليمة . وإلا ماذا يجدي الخلط بين العقليتين الكفاحيتين ؟ وماذا تجدي المدافع في أيدي الهتافين ؟ وكيف ننقل بالناس إلى الكفاح التدريجي طفرة واحدة ، وهم مازالوا يتندرون بالعمل ، ويسترسلون في فضول

الهذر ، وما برحوا يستفزون إلى « إظهار الشعور » والازلاق إلى الأعمال السابقة لأوانها ! هذه الأعمال أو المحاولات المتهلفة التي كادت تبحر العواقب الوخيمة على البلاد ، لولا عدم إكتراث كتلة الشعب يومئذ بها ولولا سهر السكاخين الحقيقيين على كبش جماع المندفعين وراء عواطفهم ، وتجنبهم مزلق الاستفزاز ، صيانة للقوى المدخرة ، وانتظاراً للقيام بعمل حاسم في الوقت المناسب !

أن يساء إلى المرء ، وأن يجرح في كبريائه القومي أمر يستفزه من غير شك . ولا يلبث هذا الاستفزاز أن يتفاعل في نفوس « العاطفيين » فيحاولون رد الإساءة في حينها ولو بمجرد « إظهار الشعور » وارتكاب الخفاقات العقلية « فليسجل التاريخ وليشهد العالم ! » أما الرجل المدبر فهو لا ينقاد للاستفزاز ، بل يتحرر منه بتفكيره البعيد الهادئ . إذا كان لا يستطيع رد الإساءة في حينها ، ففي استطاعته أن يذكرها ، ويرجيء ردها إلى وقت آخر مناسب . وهو يارجائه إياها وتذكرها ، إنما يجمعها ، ويولد من تجمعها وتراكمها قوة دافعة ، تعينه على النصر يوم يتقدم في أنسب وقت لتصفية حسابه جملة واقتدارا . وليس في هذا ما يسيء إليه ، فقد ادخر قواه ، وامتلأ زمام النفس ، وتجنب المعارك الثانوية الخاسرة ، ليفوز في معركة فاصلة في النهاية ! وقد احتفظ لنفسه بتجنب الاستفزاز بميزة اختيار الوقت . ولهذا اختار الوقت أثرها أفعال في مصير المعارك . حتى لقد يتوقف مصير أمة بأسرها على ساعات قلائل ، أو حتى بضعة دقائق !

هذا هو ما يسمى بالعقلية التأهيبية أو الاستراتيجية ، التي يجب أن ترتكز عليها فلسفة القوة ، والتي لا نستطيع تشربها إلا إذا تخاضنا من عقليتنا الكفاحية العاطفية تماما . فالقوة لا تجدى ، ما لم تدخر في حدود

الوقت والعقل ، وتعباً لا كيتساح ، بقوة المقاتلة لها في الوقت المناسب .
ومن الخطأ أن يلقى المرء بقوة ضئيلة في وجه قوة ضخمة ، اللهم إلا بعد
أن يدخر قواه وينمها ، لينزل بها إلى الميدان متى جاء الوقت الاستراتيجي
للعمل ، أي متى أصبحت الظروف مواتية للنصر ، وإيمانه بالصبر
عظيماً ! .

ولا تخفى أهمية الإيمان في إحراز النصر ، إلا أنه يجب علينا أن لا نبالغ
في تقديرها إلى حد الاعتماد على الإيمان وحده . فالإيمان من غير قوة
يدفعها لا قيمة له ولا أثر . وإن هو من القوة إلا بمثابة قوتها المدافعة .
والعلاقة بين القوة والإيمان ، كالعلاقة بين الجسم وسرعته التي يندفع بها
ويتحرك نحو غاية . وكلما ازدادت سرعة الجسم كلما كانت قوة ارتطامه
كبيرة ، ورد فعله كبيراً . بينما لو انخفضت السرعة وكان الجسم أكبر ،
كانت قوة ارتطامه أصغر ، ورد فعله ضئيلاً ! ولهذا رأينا المسكين الأثوئل
يسحقون بإيمانهم الجارف قوات بلغت في بعض المواقع ما ربو على عددهم
عشر مرات أو عشرين مرة . ولهذا أيضاً نرى الدول اليوم تحرص كل
الحرص على رفع معنوية الجيش والشعب في الحرب الحديثة .

من هنا يجب أن تكون حركة العهد الجديد قوية . . قوية بعديتها
وحكمتها وإيمانها . أن تدقق في اختيار الأنصار ، وأن تخلص في إعدادهم
للكفاح العنيد المستمر ، وأن تقوى إيمانهم بانتصارها وخلود رسالتها .
وإذا كانت الأحزاب القديمة ، وجماعات الانحلال المختلفة قد جرت على
عادة تصيد الأنصار ، وتدليلهم ومساومتهم ، فإن الحركة الجديدة لن
تتصيد أحداً ، ولن تدال أحداً ، ولن تساوم أحداً . إنها حركة العمل
الحالص المنتج المتواصل ، في حدود الطاعة وإنكار الذات والتعاون ، فيها

يفنى الفرد في الكل ، وفيها يتمثل الكل في الفرد ، طريقها واحد ، وغايتها واحدة ، ومجدها واحد ! لا ينفرد بمجدها أحد ، إذ القائد والجندى فيه سواء . ولا فضل للجندى على آخر إلا بعمله . فذلك هي حركة العمل . . مجال التقدم مفتوح فيها للجميع ، كل بقدر كفايته وإخلاصه في عمله ! .

هذه باختصار هي الخطوط الرئيسية لفلسفة السكفاح الجديدة التي تميز بها الطور الجديد من الحركة المصرية . وقد ظهرت بوادرها الأولى خلال حركة ١٩٣٥ ، ثم امتدت وتبلورت خلال الحرب وبمدها ، حتى كادت تقضي على كل ما كان قائما من أفكار وأوضاع قديمة . وقد تبثت في كسبب المجتمع الشعب على وحب العدول عن أسلوب المفاوضات المقيم ، مطالبة بإلغاء معاهدة أغسطس ١٩٣٦ . ولم يسع حكومة الوفد إلا أن تسير في هذا الاتجاه ، فتلقى تلك المعاهدة واتفاقى الحكم الثنائي في السودان بحرة قلم . وما أن أعلنت هذا الإلغاء في أكتوبر ١٩٥١ ، حتى عمت البلاد موجة جارفة من الوطنية الدافقة ، فترك العمال المصريون أعمالهم في المعسكرات البريطانية في منطقة القناة بدافع من شعورهم الوطنى الكريم ، وامتنع عمال البحر في السويس وبور سعيد عن خدمة البواخر الإنجليزية . وامتدت حركة المقاطعة إلى سائر أنحاء البلاد . وتطوع الشبان المساكخون في كتائب التحرير ، التي طفقت تشن حرب العصابات على المعسكرات والقوافل البريطانية ، مما أوقى أعصاب جيش الاحتلال وأطاش صوابه ، فانطلق كالأعمى يعتدى على الأهالى العزل الآمنين ، ويتحرش بحراس الأمن . بل ويذبل معالم القرى من الوجود ، مما زاد زاد الحركة اشتعالا وتماسكا على الرغم من تعدد الأحزاب والهيئات ، وتأخر اندماجها تحت قيادة واحدة حكيمة .

وهكذا كشفت الحركة عن تطور حقيقي في أسلوب كفاح الشعب المصري ، الذي بدأ ينصرف عن المظاهرات والمهتاف ، موجهاً قواه إلى منطقة القنال ، مركزاً جهوده العملية فيها . وقد أصبحت الميدان الرئيسى لمعركة التحرير ، إلى أن دبرت الرجعية بالتواطؤ مع الاستعمار حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ لتقضى على الحركة وهى فى مهدها . وتفصل ما بين الشعب والحكومة التى ظهرت كفاحه مفسحة مجالات العمل للقوى الشعبية المجاهدة . التى خاف الرجعيون أن تعود فتنتقض عليهم إذا نجحت فى إجلاء المستعمر الغاصب ! .

لقد كانت حوادث ٢٦ يناير مفتعلة دخيلة ، وصم بها الشعب المصرى ظلماً وعدواناً ، وهو البرىء منها براءة الذئب من دم يوسف ! فما كان ليقل وقد تركز ميدان الحركة فى منطقة القنال ، وتميزت بوسائل كفاحها العملية الجديدة ، أن يعود الشعب فينقل ميدانها إلى القاهرة راجعاً إلى ما كان قد طرحه جانباً من وسائل التظاهر والتخريب .

ونحن إذا حللنا مظهر هذه الحوادث بطريقة علمية ، وجدنا أنها لا تخرج عن أحد احتمالات ثلاثة :

أولاً — إما أن تكون انفجاراً شعبياً تلقائياً أهوجاً ظهر كرد فعل لجزرة الإسماعيلية فى اليوم السابق . وهذا ما يتنافى مع طبيعة ونطاق الحوادث . فقد اقتصرت على القاهرة وحدها ، وانحذت مظهراً يحكم التدبير هو أبعد ما يكون عن الهياج التلقائى ، وأقرب ما يكون إلى المؤامرة المرسومة .

ثانياً — أو أن تكون محاولة لقلب نظام الحكم أو لإسقاط الحكومة القائمة . وهذا ما يتنافى مع مجرى الحوادث ، إذ لم يهدف أحد ضد

الحكومة أو يحاول احتلال دور الحكم والمنشآت العامة . فضلا عن أن هيئات الشعب المكلفة كانت مجمعة على الإبقاء على الوزارة الوفدية ، شأنها لم تنسجر للحركة . وكان الناس يخشون وقوع تغيير وزارى ، قد يأتى بوزارة رجعية أو معتدلة لاتؤازر الشعب فى كفاحه .

ثالثاً — أو أن تكون هذه الحوادث من قبيل « السابوتاج » أى الإتلاف المدبر للانتقام من المؤسسات الانجليزية والقضاء على دور اللهو والبارات . ومثل هذا التخريب إما أن يصدر عن جماعة وطنية متطرفة أخطأت أسلوب الكفاح ، وإما أن يكون من صنع عملاء مغررين دفع بهم للقيام بهذه الحوادث لحساب الرجعية والاستعمار ، ولكى يتخذ منها مبرراً لإقالة الوزارة الوفدية ، وحكم البسلاد فى ظل الأحكام العرفية ، والقضاء على الحركة تماماً .

هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب إلى الصواب . وقد ظل الناس يتهامسون به طويلاً . فمن قائل إن البوابيس السياسى هو الذى دبرها بالتعاون مع عملاء المخابرات البريطانية . . إلى قائل أن بعض الماطيين والخنونة من أعضاء شبكة إخوان الحرية ، هم الذين ضللوا البسطاء ودفعوا ببعض الفوغاء إلى ارتكاب هذه الحوادث . كان الناس يتهامسون بهذا وبأكثر من هذا ، ومع ذلك لم يستطع أحد أن يتكلم ، لأث الرقابة الصارمة فرضت على النشر ، ومنعت أى تعليق على حوادث القاهرة ؛ وقضت على كل محاولة للكشف عن أسرارها ودوافعها الخفية . وقد وصم رجال الحزب الاشتراكى بها ، وزج بهم فى غياهب المعتقلات والسجون تشفياً وانتقاماً لمجرد أن صحيفتهم هى التى حملت لواء الحملة على القصر والحاشية بقوة وصراحة . كما وصم بالأمس رجال الإخوان المسلمين

ببعض حوادث التخريب خلال معركة فلسطين ؛ واتخذت هذه الحوادث مبرراً للقضاء على حركتهم ، بعد أن رأت الرجعية في انتشارها خطراً يهدد كيانهما ، فأمرت بحلها ، وقضت على مؤسستها الشهيد بعمل إرهابي غادرا ، وعلى الرغم من أنه جاء على رأس الوزارة عقب حوادث ٢٦ يناير ، وطني غيور وسياسي محنك ، وهو الرئيس على ماهر ، إلا أن الرجعية وقد فرضت عليه وزراء معينين من أدواتها ، حالت بينه وبين ما كان يحاوله من تبييد سحب اليأس والشك ، وإتاحة فرص الكفاح للشعب المجاهد . ولم تلبث أن اضطرت مكرهاً إلى الاستقالة ، بطريقة غريبة مشيرة . وبسقوط على ماهر أمسك الرجعيون والمعتدلون بزمام البلاد ، وأمعنوا في الكبت والاضطهاد ، وامتدت موجة طغيان الرجعية إلى الجيش ، فأغلقت نأديه ، بعد أن عجزت عن فرض عملائها في مجلس إدارته . مما أثار السخط في نفوس الضباط وكان سبباً مباشراً لبطشهم الكبرى التي ردت إلى الشعب حياة الحرية والكرامة . واقتلعت من ظهر الحركة الوطنية تلك الشوكة التي طالما استند إليها الاستعمار لمرقلة تحرر الشعب ونهوضه .

فجر جديد

الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر .

الله أكبر ، لقد ذهب الفجر الكاذب وبدأت طلائع الفجر الجديد تظهر !

الله أكبر . لقد انتفض الجيش الباسل لينذر وينتصر ويقهر !
كانوا يخالونها معجزة ففزعوا وفزع لا تقع ! وفقد الكثيرون إيمانهم
بالله وعدله ورحمته ، إذ صور لهم اليأس القاتل أن زمن المعجزات
قد مضى وانقضى .

ولكنها القلة المؤمنة المكافئة احتفظت بإيمانها بالله والشعب خفقت
بسواعد الجيش الباسل المعجزة !
إن القلم ليقفز فرحا وهو يسطر هذا الفصل الجديد من الكتاب ،
في الوقت الذي يخط فيه الجيش المجيد فصلا جديدا في تاريخ مصر
الحديثة الناهضة !

سبحانك اللهم العلى القدير ، العزيز المستعان . لقد نزلت الزعامة
الوطنية العسكرية إلى الميدان . ودكت يبطشتها الكبرى صرح الطغيان ،
فحررت الشعب من اليأس والعبودية والهوان ، لتبعته حرا كريما ، نافذ
الإرادة والسلطان !

ولئن كان الجيش الباسل قد سدد ضربته المفاجئة الحاسمة ، والبلاد
لم تزل في مرحلة الانتقال ، وفوضى الانحلال على أشدها ، وقلول الجيل
القديم وبراعمه مختلطة بطلائع الجيل الجديد وشوائبه ، وقد وقف

الحائرون المترددون في مفترق الطرق . . . إذا كان الجيش الباسل قد وثب
وثبتته الكبرى والجهة المدنية على هذه الصورة المفككة القاعة . . .
فهل تستطيع الجهة المدنية ، وهي على هذه الحال ، أن تثب وثبتها هي
الأخرى ، فتقضى نهائيا على مرحلة الانحلال ، وتنتقل بالحركة المصرية
إلى طور جديد ناجح تستقر فيه الأمور ؛ وتنصرف الجهود إلى مرحلة
البناء الشاقة المضيئة !

تستطيع الجهة المدنية أن تفعل هذا إذا أخلصت وتطهرت ، وحرصت
على تصفية مرحلة الانتقال تصفية نهائية حاسمة . ومثل هذه التصفية لا تتحقق
بوحدة مصطنعة بين أحزاب قديمة أوشكت على الزوال ؛ ولا باندماج
بين أكثر من جماعة من جماعات الانتقال ، وإنما هي تتم على يد الجماعة
أو الهيئة الأقوى أنصارا ، والأوفر تنظيما ، والتي تستطيع أن تقطر
العناصر السكاخفة جميعا تحت لواء أدراكها الوطني الاشتراكي الإسلامي
وفلسفة كفاحها العملية السليمة !

مثل هذه الجماعة أو الهيئة هي وحدها التي تستطيع أن تنحى عن
الميدان فلول العهد القديم وبراعمه ، وتمسك بزمام الحركة المصرية في
طورها الجديد ، بمجازة مرحلة التصفية إلى مرحلة البناء والتجديد ،
وهي مرحلة شاقة طويلة تقتضى حشد الجهود ؛ ومواصلة العمل ، وتأمين
ظهر الحركة دائما بتنقية صفوفها أولا بأول من العناصر الضعيفة أو المغرضة
التي قد تنسل إليها لتقتنص الفرص ، وما أسرع ما تتخلف عند أول محنة
فتنزل بالحركة نكسه خطيرة !

لقد انتصرنا والحمد لله في الجولة الأولى !

وإنها الخطوة الكبرى ولا شك أن يحدث الانقلاب . ولكن المهم أن

نعرف كيف نحافظ عليه ، ونسير به في الطريق الحق ، دون انحراف أو تردد أو تراجع . . . أن نسير في الخطوات التالية بنفس الروح ، وب نفس القوة الدافعة التي سرنا بها في الخطوة الأولى . فليس يكفي أن نقوض صرح الطغيان ، ونوطد دعائم الدستور ؛ ونكفل للشعب الحرية ولكن يجب أن نعرف كيف نعيش هذه الحرية ، وكيف نمارسها حقاً ، وثبتت بأعمالنا وليس بأقوالنا إنها حقيقة واقعة ، نحن جديرون بها قادرون على المحافظة عليها من كل من قد تحدته نفسه بالاعتداء عليها وانتقاصها !

إن العبيد الأذلاء من أدوات العهد القديم هم الذين زينوا للظالم الباغى أن يعمن في الطغيان ويسهر ، ويعيث في الأرض فساداً . أما العهد الجديد فلن نبني صرحه إلا بسواعد الأحرار الذين كالحوا ليعيشوا أحراراً ، ولم يوافقوا أو يتملقوا السلطان ، أو ينزلقوا قط إلى هوة العبودية والهانة . هؤلاء الأحرار وخدمهم هم الذين يستطيعون صيانة الحرية التي انتزعها الانقلاب . وهم وخدمهم الذين يستطيعون المضي في مرحلة البناء ، والنهوض بما تتطلبه من مسئوليات جسام ، وجهود ضخمة . وأى مسئوليات أجسم وأضخم من إحياء أمة منحلة ، وإعادة بناء نظمها وأوضاعها على أسس عادلة جديدة !

إن المسألة أجل وأسمى من تنازل ملك وتولية آخر . . من سقوط وزارة وقيام أخرى . إنها مسألة إنهاء شامل لنظام فاسد ، وإقامة نظام جديد عادل ! هذا ما يريده الشعب وهذا ما أراده رجال الجيش الأبطال يوم وثبوا وثبتهم للباركة . إنهم يشعرون يقيناً بمسئولياتهم التاريخية الكبرى . وما أعظمها مسئولية ستحيط بكل شيء ، وتعتمد إلى كل شيء في هذا البلد لتطهره من الروح الفردية والوصولية مرة واحدة وإلى الأبد ؛

بحيث لا يظهر في العهد الجديد حاتم يستغل النفوذ ، أو يتخذ من الحكم مغنا وتجارة . وبحيث لا يترك ليعيش في ظل العهد الجديد مورد الأسلحة الفاسدة ، أو محقق يأتمر بأمر السلطان ، أو طبيب يجبر المرضى على المرور بعيادته أولاً قبل التصريح لهم بدخول المستشفى الأميري ، أو مدرس يبيع الإمتحانات ، أو موظف يرتشى أو يحايى الخ . . . فهؤلاء وأمثالهم ما كانوا ليعيشوا ويفسدوا في الأرض ، لو لم يكن الرجال الذين يتناوبون على أجهزة الحكم يستغلون النفوذ ، ويعيشون في الأرض فساداً ! وما لم يكن النظام الذي سمح لهؤلاء جميعاً بالبقاء ، وشجعهم على ارتكاب هذه الجرائم في حق الشعب نظاماً عفناً جديراً فاسداً !

لن يقف الأمر إذن عند حد تغيير الأشخاص ، بل سوف يمتد إلى خلق جيل جديد من رجال الحكم ، يدير أمور البلاد بأداة حكومية جديدة . وإذا كانت هذه هي روح العهد الجديد ، فلا يتصورن أحد أن طريقه سيكون ممهداً ، خلواً من الأشواك والعوائق . وأن المنتفعين من النظام القائم من الإقطاعيين وكبار الممولين ، والوصوليين من رجال الجيل القديم وبراعمه ، والمحتمين به من الأذنان سيتخلون عن أماكنهم وامتيازاتهم بسهولة . فكثيرون من هؤلاء ينظرون إلى مراكمهم ومزاياهم الاستثنائية كحقوق مكتسبة . . وقد تدفعهم شهوة المحافظة عليها إلى محاولة عرقلة البرامج الإصلاحية للعهد الجديد بأخبث الوسائل ! وهذا ما يجب أن ندخله في اعتبارنا دائماً ، فنحرص كل الحرص على أن لا ندع سبيلاً لأمثال هذه العناصر الانتكاسية أن تعود بنا القهقري إلى الوراء ، أو تحولنا عن أهدافنا الشعبية المرسومة !

لكم حال هؤلاء النفعيون والوصوليون دون إصلاح حال السواد الأعظم من الشعب ، والأخذ بيده من الهوة التي تردى فيها . . لكم حالوا

دون القيام بأى عمل إيجابى لتقوية معنوية الشعب ؛ وتدعيم شعوره القومى
برباط مادى يربط بينه وبين الأرض التى يعيش عليها ؛ ونجحوا فى المحافظة
على الأوضاع الظالمة بنفوذهم الكبير فى أحزاب الجيل القديم ؛ وبسيطرتهم
من وراء ستار على النظام البرلمانى الحزبى ؛ الذى لم يحقق ما علقه الشعب
عليه من آمال ؛ وساعد على تفشى وباء الوصولية السياسية ؛ وأساء إلى
الروح الكفاحية الاستقلالية أبلغ إساءة ؛ فهل نترك أمثال هؤلاء النفعيين
والوصوليين يحتفظون بمثل هذا النفوذ ، ويمارسون مثل هذا الاستغلال
الشائن فى هذا العهد الجديد ؛ الذى ينتظر منه الشعب الخير الكثير ؛
ويعلق عليه آمالا كباراً ؟ !

لا مكان لأمثال هؤلاء النفعيين المستغلين فى العهد الجديد . ويجب أن
لا نترك لهم ثغرة واحدة ينفذون منها إلى صرحه ؛ لينثروا فيه بذور التحلل
والفساد ؛ ليعودوا بذلك إلى نفس المكانة التى كانوا يستأثرون بها فى
العهد البائد !

يجب أن يكون العهد الجديد سليماً طاهراً .. فلا استغلال ولا نفوذ ،
ولا تفسير ولا إهمال ، ولا تبذير فى الوقت والمجهود ، ولا غفلة ولا إضاءة
لأفرص السانحة المواتية ، بل عمل متصل متواصل ، ويقظة دائمة ، وشعور
حقيقى بالمسئولية ، واستعداد طيب للبذل والتضحية .

هكذا يجب أن تكون روحنا جميعاً ، ونحن نستقبل هذا العهد الجديد
لنبنى صرحه متكاتفين متعاونين يودى كل منا واجبه كاملاً ؛ قبل
أن يطالب غيره بأداء واجبه كاملاً ولا يظل كل منا مؤمناً بالعهد
الجديد ؛ أميناً عليه ؛ حريصاً على أن يحقق أهدافه الحقيقية كاملة ؛ مقدماً
صالح المجموع على مصالحه الخاصة ومطامعه !